

روح المعاني

فكأنه قيل : أقيموا وجوهكم منيبين .

وقال الفراء : أي أقم وجهك ومن أتبعك كقوله تعالى : فأستقم كما أمرت ومن تاب معك
فلذلك قال سبحانه : منيبين وفي المرشد أن منيبين متعلق بمضمر أي كونوا منيبين لقوله
تعالى بعد : ولا تكونوا من المشركين ولا يخفى على المنصف حسن كلام الزمخشري وما ذكر من أن
خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب الأمة يؤكد الدلالة وعلى ذلك المضمرة لا أنه يجوز أن
يكون منيبين حالا من الضمير في أقم وظاهر كلام الفراء يقتضي كون الحال من مذكور ومحذوف
وهو قليل في الكلام وإضمار كونوا مع إضمار فعل ناصب لفطرة الله موجب لكثرة الإضمار وإضماره
دون إضمار فيما قبل موجب لإرتكاب خلاف المتبادر هناك والفطرة على ما قال ابن الأثير
للحالة كالجلسة والركبة من الفطر بمعنى الإبتداء والإختراع وفسرها الكثير هنا بقابلية
الحق والتهيء لإدراكه وقالوا : معنى لزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به بإتباع
الهوى وتسويل شياطين الإنس والجن ووصفها بقوله تعالى : ألتى فطر الناس عليها لتأكيد
وجوب إمتثال الأمر وعن عكرمة تفسيرها بدين الإسلام .

وفي الخبر ما يدل عليه أخرج ابن مردويه عن حماد بن عمر الصفار قال : سألت قتادة عن
قوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها فقال : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرة الله التي فطر الناس عليها دين الله تعالى
والمراد بفطرتهم دين الإسلام خلقهم قابلين له غير نابيين عنه ولا منكبين له لكونه مجاوبا
للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما أختاروا عليه دينا آخر ففي الصحيحين عن
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من
جدعاء والمراد بالناس على التفسيرين جميعهم .

وزعم بعضهم أن المراد بهم على التفسير الثاني المؤمنون وليس بشيء وأستشكل الإستغراق
بأنه ورد في الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام أنه طبع على الكفر وأجيب بأن معنى ذلك
أنه قدر أنه لو عاش يصير كافرا بإضلال غيره له أو بآفة من الآفات البشرية وهذا على ما
قيل هو المراد من قوله E : الشقي شقي في بطن أمه وذلك لا ينافي الفطر على دين الإسلام
بمعنى خلقه متهيأ له مستعدا لقبوله فتأمل فالمقام محتاج بعد إلى تحقيق وقيل : فطرة
الله العهد المأخوذ على بني آدم ومعنى فطرتهم على ذلك على ما قيل خلقهم مركوزا فيهم
معرفته تعالى كما أشير إليه بقوله سبحانه : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

ا وقوله سبحانه : لا تبديل لخلق ا ۞ تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الإمتثال به فالمراد بخلق ا فطرته المذكورة أولا ففيه إقامة المظهر مقام المضمّر من غير لفظه السابق والمعنى لا صحة ولا إستقامة لتبديل فطرة ا ۞ تعالى بالإخلال بموجبها وعدم ترتيب مقتضاها عليها بإتباع الهوى وقبول وسوسة الشياطين وقيل : المعنى لا يقدر أحد على أن يغير خلق ا ۞ سبحانه وفطرته عزوجل فلا بد من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكّن من إدراكه ضرورة فإن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعاً فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة